حركات المعارضة لحكم صلاح الدين الأيوبي في مصر

٥٦٤ - ٥٧٠ هـ / ١١٦٨-١١٧٤م

المدرس
علي منفي شراد
alimanfi@mu.edu.iq
المدرس
صادق فيحان عزوز
Abuhassin08@gmail.com
جامعة المثنى ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Opposition Movements to the Rule of Salah AL-din in Egypt 564-570 AH \ 1168 - 1174 AD

Lecturer
Ali Manfi Sharrad
Lecturer
Saadq feehn azooz
University of AL -Muthanna / College of Education for Human Sciences

الملخص:-

تعد بلاد مصر من البلدان الإسلامية ذات الأثر البالغ في التاريخ، نظراً لما تُمثله من قوة بشرية واقتصادية منذ القدم الى يومنا الحاضر، لذا كانت أبان العهد الإسلامي محط أنظار واهتمام جميع المسلمين على المستوى الحكومي (خلفاء وولاة) أو المستوى الشعبي (علماء و تجار وطلبة العلم)، ونتيجة لذلك فقد اتخذت الخلافة الفاطمية من سنة (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م) من بلاد مصر مقراً لها لنشر مبادئها ومذهبها، لكن الصراع الإسلامي - الإسلامي أدى في نهاية المطاف الى إنهاء الخلافة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية التي حكمت بلاد مصر باسم الخلافة العباسية، وكنتيجة لذلك فقد ظهرت في بلاد مصر بعض الحركات المعارضة للحكم الجديد ولعل في مقدمتها حركة مؤتمن الخلافة جوهر عام ٥٦٤هـ، ثم تلتها حركة الشاعر عمارة اليمني عام ٥٦٩هـ، ثم حركة الأمير كنز الدولة في أسوان عام ٥٧٠هـ التي كانت اخر الحركات الهادفة لاعادة الحكم لاصحابه الفاطميون في مصر.

الكلمات المفتاحية: حركات المعارضة، صلاح الدين، مصر، الايوبيون، الفاطميون.

Abstract:-

Egypt is one of the Islamic countries with great influence in history because of its humetarian and economic impact since ancient times to the present day. Therefore, Egypt value took major consideration in Islamic era as governmental level (successors and governors) or the popular level (scientists, traders and students of science)). As a result, the Fatimid Caliphate (358-567AH/968-1171M) was established in Egypt to spread its principles and doctrine. eventually the Islamic conflict between Abbasid and Fatimid led to the end of the Fatimid caliphate and the establishment the Ayyubid state.

As a result some opposition movements appeared in Egypt, against the new rule in the forefront the movement of (MOTAMEN ALKHELAFA JAWHAER) in 564 AH, then followed by the movement of poet (AL-YAMANI OMARA) in 569 AH, then the movement of (KANZ AL DAWLA) in Aswan in 570 AH, which was aimed to restore governance to Fatimids.

Keywords: Opposition Movements, Salah Al-din, Egypt, Aubides, Fatimid.

المقدمة:ـ

للكتابة عن مصر عبر تاريخها الطويل وحضارتها العريقة، فإننا نحتاج الى الوقت الكثير للإحاطة بجميع الاحداث والادوار التاريخية التي كان للبلاد المصرية فيها الاثر البالغ وخاصة ايام العهود الاسلامية.

لذا حاول الباحثين تسليط الضوء على عهد مهم من ذلك السفر التاريخي الكبير الا وهي عهد الدولة الايوبية التي حكمت البلاد المصرية وبلاد الشام واليمن ردحاً من الزمن مما أنتج الكثير من المنجزات العسكرية والعمرانية والعلمية، ومما هو طبيعي فان اغلب الدول يوجد بعض المعارضين لسياساتها، وهذا فعلا الذي حصل في مصر ايام الدولة الايوبية حيث برزت لدينا ثلاث حركات معارضة لحكم صلاح الدين من (٥٦٤ - ٥٧٠هـ)، وذلك بسبب بعض الخلافات السياسية والمذهبية وهذا ما دفع الباحثين الى البحث في حيثيات تلك الخلافات وابراز أهم تفاصليها.

وقد اقتضت الضرورة على تقسيم البحث الى عدة فقرات حسب التسلسل الزمني للأحداث فكان اولها حركة مؤتمن الخلافة او ما يعرف بـ (الطواشي) و مدى تأثير هذه الحركة على الساحة السياسية في مصر آنذاك، وما هي النتائج المستخلصة من تلك الحركة، أما الحركة الثانية فهي حركة الشاعر عمارة اليمني الذي سانده بعض رجالات الخلافة الفاطمية وكيف استطاع صلاح الدين القضاء عليها والتخلص من جميع زعمائها، في حين كانت الحركة الثالثة حركة كنز الدولة الذي يشغل منصب حامي أسوان حيث تطرقنا الى اهم اسباب قيام الحركة والنتائج التي توصلت اليها وكيف استطاع صلاح الايوبي القضاء على زعيمها.

أما الخاتمة فقد تضمنت أهم الاسباب التي دعت الى اعلان بعض الزعماء المعارضة لحكم صلاح الدين وكذلك أهم النتائج التي اسفرت عنها تلك الحركات والطرق والوسائل التي انتهجها صلاح الدين لدفع الاخطار عن دولته ليستمر حكم الاسرة الايوبية الى ما بعد حياة صلاح الدين بعشرات السنين.

توطئة..

تعد بلاد مصر من البلدان الإسلامية ذات الأثر البالغ في التاريخ، نظراً لما تُمثلهُ من قوة بشرية واقتصادية وحضارية منذ القدم الى يومنا الحاضر، لذا كانت أبان العهد الإ سلامي محط أنظار واهتمام جميع المسلمين على المستوى الحـ كومي (خلـ فاء وولاة) أو المـ ستوى الشعبي (علماء وتجار وطلبة العلم)، ونتيجة لذلك فقد اتخذت الخلافة الفاطمية مـن سنة (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م) من بلاد مصر مقراً لها لنشر مبادئها ومذهبها، لكن الـ صراع الإسلامي - الإسلامي أدى في نهاية المطاف الى إنهاء الخلافة الفاطمية وقيام الدولة الايوبية التي حكمت بلاد مصر باسم الخلافة العباسية، وكنتيجة لذلك فقد ظهرت في بـلاد مـ صر بعض الحركات المعارضة للحكم الجديد ولعل في مقدمتها:

أولاً: حركة مؤتمن الخلافة..

هي أول الحركات الرافضة لوزارة صلاح الدين الأيوبي [١] التي ظـ هرت في الـ قاهرة بقيادة متولي قصر الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله [٢] المدعو جوهر والملقب بـ (مـؤتمن الخلافة) ويعرف أيضاً بـ (الطَّوَاشِي)[٣]، وهو خصي كان بقصر الخليفة العاضد لـدين الله يعود إليه الحكم فيه والتقدم على جميع من يحويه ذلك القصر[٤].

وقد اختلفت المصادر التاريخية في ذكر السبب الرئيسي الذي دفع مؤتمن الخلافة جوهر الى قيادة هذه الحركة المناوئة لوزارة صلاح الدين الأيوبي الذي جاء خلفاً لعمهِ الوزير أسد الدين شيركوه [٥]، ولعل من أهم تلك الأسباب:

١- ان صلاح الدين الأيوبي أباح الى قادة جيشه وجنده معظم الأراضي والممتلكات في المدن المصرية وخاصة مدينة القاهرة، بغض النظر عن موافقة مالكـ ها أو صاحب اليد عليها أو صاحب حق التصرف فيها، وهذا ما أكدهُ الـ نويري (ت/٧٣٣ هـ) بقوله: "... وشرع صلاح الدين في نقض إقطاع المصريين فقطع منهم الدابر من أجل منَ معهُ من العساكر... "[٦].

نستنتج من هذا النص ان صلاح الدين لم يستثني من المصريين أحد بـل ان مـ صادرة الأملاك و الاقطاعات شمل الجميع سواء كان من رجالات الخلافة الفاطمية أو مـن عا مـة

الناس مما أثار الفزع في نفوس أبناء الشعب المصري وبالتالي أصبح الطريق ممهداً أمام صلاح الدين وقادته لتنفيذ مأربهم في الاستيلاء على مقدرات الشعب والتحكم بال سلطة و تدبير شؤون الدولة وفق ما تقتضي مصالحهم.

٢- ان بعض رجالات الدولة الفاطمية وخاصة حاشية الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله والمقربين من مجلسه، ضجروا وضاق بهم السبيل بسبب بعض التصرفات غير المقبولة سواء من قبل الوزير صلاح الدين نفسه أو بعض القادة الشاميين الذين كانوا عماد وزارته وركنها الوثيق فلم يرق لهم ذلك الحال، مما شجع مؤتمن الخلافة على التحرك من أجل الإطاحة بالوزير الجديد، وهذا ما نستنتجه من قول ابن خلدون (ت/٨٠٨هـ): "... فلما غص[٧] أهل الدولة - الفاطمية - بوزارة صلاح الدين داخل جماعة منهم..."[٨].

٣- ان الخليفة العاضد لدين الله خاف على نفسه من صلاح الدين الأيوبي، فأمر خادمه مؤتمن الخلافة بقتال الترك والغز - ويعني بهم جيش الشام الذي جاء مع أسد الدين وبقى في مصر - وأتفق على قتالهم العسكر المصري بجميع فئاته مع مؤتمن الخلافة، فثاروا على الترك وقتلوا منهم جماعة، مما دفع صلاح الدين الثأر لجنده فانتقم من مؤتمن الخلافة وجميع السودانيين في القاهرة[٩].

وهنا لابد لنا من النظر في هذا السبب بتأمل وحيادية لبيان عدم صحته من طريق تحكيم العقل والاستشهاد ببعض الأحداث التاريخية.. فللرد نقول:

أ) لماذا يخاف الخليفة العاضد لدين الله من صلاح الدين الذي كان أصغر وأضعف القادة في جيش عمه أسد الدين مقارنة بخاله القائد شهاب الدين محمود صاحب مدينة حارم والقائد سيف الدين علي المشطوب ملك الأكراد و القائد عين الدولة الياروقي زعيم الأتراك وغيرهم[١٠].

ب) ما أوردهُ ابن تغري بردي من نص يناقض روايته الأولى: "... فأرسل العاضد إلى صلاح الدين يتعتب عليه ويقول له فأين أيماناتكم هذا الخادم جاهل فعل ما فعل بغير أمرنا... "[١١].

ت) إذا كان الاتفاق ان يخرج العسكر المصري بجميع فئاته، لماذا لم يصدر عن ديوان الخليفة أمراً بالخروج - الجهاد- أو أمراً بعزل صلاح الدين من الوزارة وتولية شخص أخر، ولماذا تركز الانتقام من العناصر السودانية دون غيرها من فئات الجيش المصري الأخرى.

ونتيجة لكل ما سبق فإننا نؤكد عدم صحة هذا السبب وعدم مشروعيته.

وهكذا نجد ان حركة مؤتمن الخلافة كانت من أجل استعادة الحقوق والممتلكات التي سلبتها القوات الشامية القادمة لمصر من اجل إنقاذها من الغزو الصليبي وحفظ الأمن والسلام على الأراضي المصرية لجميع السكان انطلاقاً من مبادئ الإسلام الحنيف في تكريم بني آدم وحفظ كرامته وحقه في الحياة.

وقد أوضحت المصادر التاريخية ان هذه الحركة - حركة مؤتمن الخلافة - لم تحقق هدفها في القضاء على الظلم والتسلط الذي مارسهُ قادة وجند الجيش الشامي، حيث استطاع صلاح الدين القضاء على مؤتمن الخلافة وقتله في أوائل ذي القعدة عام ٥٦٤هـ[١٢]، وقد تم تعليل سبب مقتلهِ بأنه قام مع مجموعة من رجالات الخلافة الفاطمية بمكاتبة الإفرنج واستدعائهم الى البلاد من اجل القضاء على وزارة صلاح الدين الأيوبي[١٣]، والسبب الحقيقي هو خلاف ذلك، ولدفع هذه الشبهة عن مؤتمن الخلافة نقول:

١- ان المصادر الصليبية الأولية لم تذكر اي شيء عن هكذا نوع من التعاون او المكاتبة بين الصليبيين ورجالات الدولة الفاطمية خلال تلك الفترة وخاصة مؤتمن الخلافة، فعلى سبيل المثال ان المؤرخ الصليبي وليم الصوري[١٤] لم يورد شيئاً عن ذلك، بل ان المؤرخ الأيوبي أبن شداد (ت/٦٣٢هـ) لم يذكر اي شيء عن هذه المكاتبة المزعومة عند حديثه عن الهجوم الصليبي على مصر حيث قال: "... فاجتمع الإفرنج والروم جميعاً وحدثوا أنفسهم بقصد الديار المصرية والاستيلاء عليها..."[١٥]، و هذا النص واضح وصريح ليس بحاجة الى اي تعليق للإثبات عدم صحة هذا الادعاء.

٢- ان مؤتمن الخلافة كاتب معظم الأمراء المصريين والجند واتفق رأيهم على خلع صلاح الدين الأيوبي من الوزارة بعد ان عظم نفوذه وعلا سلطانه، و هذا ما

يؤكدهُ الكاتب سيد علي الحريري[١٦]، فما حاجة إذاً الى مكاتبة الصليبيين في هذه الحالة - ان صح الاتفاق - .

٣- إذا كان مؤتمن الخلافة يستطيع مكاتبة الإفرنج ويدعوهم الى مصر، لماذا لم يستدعهم للتخلص من تسلط الوزير شاور وأسد الدين شيركوه الذين سبقوا صلاح الدين الأيوبي في تولي الوزارة هذا من جانب، ومن جانب أخر لماذا لم يستخدم نفوذهُ لمنع الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله من الاستنجاد بعساكر نور الدين زنكي لدفع الخطر الصليبي عن البلاد المصرية [١٧]، لكي يتقوى بهم على خصومهِ ويبقي على نفوذهِ وسلطاته.

٤- ان الروايات التاريخية أجمعت بان كاتب هذه الرسالة للإفرنج هو شخص يهودي وناقلها هو شخص فقير رث الهيئة [١٨]، وهنا نتسأل - ان صح أمر المكاتبة - لماذا لم يكتب مؤتمن الخلافة الرسالة بخط يده حفاظاً على سرية الأمر ؟ أو يأمر احد الكتاب المؤتمنين العاملين في دار الإنشاء القيام بذلك ؟ إما مسألة حامل الرسالة وهيئتهِ التي ظهر بها في تشبه الى حداً كبير هيئة حامل الرسالة الذي بعثهُ مروان بن الحكم الى والي مصر أيام خلافة عثمان يأمرهُ بالقصاص من الثائرين ضد سياسة عثمان[١٩]، وهنا نتسأل أيضاً كيف يوكل مؤتمن الخلافة هذا الأمر العظيم الى رجل ضعيف رث الهيئة، يُثير الريبة ويجعله محط أنظار الجميع وترقبهم، ألم يسمع أو يقرأ مؤتمن الخلافة قصة حامل رسالة مروان بن الحكم الى والي مصر أيام فتنة عثمان بن عفان ؟!!

٥- لماذا يتهم الشيعة دائماً من قبل بعض المؤرخين والكتاب بالتآمر مع أعداء الإسلام والمسلمين ضد أبناء جلدتهم وإخوانهم في الدين، لعل هذا الاتهام لرجالات الشيعة بسبب الحقد عليهم، وكذلك من اجل التقليل من شأنهم وأضعاف شوكتهم في مواجهة الظلم والاستبداد الذي تتعرض له المجتمعات الإسلامية من قبل السلطة الحاكمة.

وهنا نستطيع القول بان السبب الحقيقي والدافع الرئيسي الذي كان وراء مقتل مؤتمن الخلافة جوهر هو التخلص من سيطرته على إدارة شؤون قصر الخليفة الفاطمي العاضد

لدين الله، وهذا ما يؤكدهُ قول الذهبي (ت/٧٤٨هـ): "... وكان بالقصر أستاذ خصي يلقب مؤتمن الخلافة، لأمره نفاذ، وبه في الشدة عياذ، وله بتحيل الحيل لياذ، وعلى القصر استحواذ... "[٢٠]، لذلك أراد صلاح الدين عزلهِ وتولية شخص أخر يكون ولائهُ وطاعتهُ لصلاح الدين دون الخليفة، وهذا ما تم فعلاً بعد مقتل مؤتمن الخلافة جوهر حيث تم تولية بهاء الدين قراقوش[٢١] الذي أصبح بيده تصريف الأمور كلها، فما دخل القصر شيء ولا خرج منه إلا بمرأى منه ومسمع، وقد أجمعت المصادر التاريخية ان الوزير صلاح الدين الأيوبي أحكم سيطرته على شؤون القصر بحيث لا يجري فيه صغيرة ولا كبيرة إلا بأمر صلاح الدين[٢٢].

وقد ترتب على مقتل مؤتمن الخلافة غدراً بعد خروجه من قصر الخلافة الى قصراً له قرب قليوب [٢٣]، وقيل: خرج الى قرية له تعرف بـ (الخرقانية)[٢٤] للصيد أو النزهة والترفيه، فأرسل اليه الوزير صلاح الدين جماعة فقتلوه [٢٥]، فكان نتيجة لمقتل مؤتمن الخلافة جوهر قيام ثورة من قبل أتباعه السودانيين حيث بلغ عدد الثائرين أكثر من خمسين ألف شخص، وهذا الامر يُعد هو الثورة الحقيقية ضد حكم صلاح الدين في مصر، وقد تعامل صلاح الدين مع هذه الثورة بكل قسوة وحزم، حسب ما ذكرهُ الأثير حيث قال ما نصه: "... فغضب السودان لقتل مؤتمن الخلافة للجنسية ولأنه كان يتعصب لهم فحشدوا وجمعوا فزادت عدتهم على خمسين ألفاً، وقصدوا حرب الأجناد الصلاحية فاجتمع العسكر أيضا وقاتلوهم بين القصرين، وكثر القتل في الفريقين فأرسل صلاح الدين إلى محلتهم المعروفة بالمنصورة فأحرقها على أموالهم وأولادهم، فلما أتاهم الخبر بذلك ولوا منهزمين، فركبهم السيف وأخذت عليهم أفواه السكك، فطلبوا الأمان بعد أن كثر فيهم القتل، فأجيبوا إلى ذلك فأخرجوا من مصر إلى الجيزة، فعبر إليهم شمس الدولة أخو صلاح الدين الأكبر في طائفة من العسكر فأبادهم بالسيف ولم يبق منهم إلا القليل الشريد... "[٢٦].

نستنتج من هذه الرواية عظم الفاجعة التي ارتكبها صلاح الدين الأيوبي بحق العبيد السودانيين الموالين للخلافة الفاطمية، وكذلك عظم الخسائر البشرية والمادية التي خسرتها الدولة الإسلامية بسبب الصراع الداخلي في وقت هي بأمس الحاجة لتوحيد الجهود لدفع الأخطار الصليبية عن البلدان الإسلامية في الشام ومصر.

ثانياً: حركة الشاعر عمارة اليمني[٢٧] وبعض رجالات الخلافة الفاطمية..

كان من الوفاء ورد الجميل ان يعمل مَن تبقى من أنصار ومؤيدي للخلافة الفاطمية على الإطاحة بالتسلط الأيوبي الذي أعلن زعيمهُ صلاح الدين سقوط الخلافة الفاطمية في مصر، ولاسيما الرجال المخلصين الذين عاشوا واطلعوا من قريب أو بعيد على محاسن الخلافة الفاطمية التي كان له بالغ الأثر في نهضة البلاد المصرية ومنافستها للعباسيين في العراق والأمويين في الأندلس، لذا أخذ بعض هؤلاء الرجال العمل على إعادة الحكم الى أصحابه الشرعيين والقضاء على الأيوبيين، فكان من أهم تلك الثورات والحركات، الثورة التي تزعمها الشاعر عمارة اليمني الذي لطالما مدح الخلفاء والوزراء الفاطميين في شعره، حيث اجتمع الثائرون فاختاروا احد أولاد الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ليكون خليفة عليهم[٢٨]، ثم قاموا بتقاسم المناصب العليا في الدولة فيما بينهم، وقد ارتأى الثائرون لإنجاح حركتهم انه لا بدَّ لهم من الاستعانة بإخوانهم في العقيدة والمذهب، فاتصلوا بالإسماعيلية النزارية في بلاد الشام وطلبوا إرسال جماعة من أتباعهم تقوم بمساعدتهم في تحقيق غايتهم وإعادة تشكيل دولتهم، فوافقوا على طلبهم[٢٩]، وقد أضاف ابن واصل (ت/٦٩٧هـ) بان الثوار "... اتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية و الشام الى مصر وبذلوا لهم شيئاً من المال والبلاد... "، لإشغال صلاح الدين الأيوبي بمواجهتهم لكي يسهل عليهم إشعال الثورة في القاهرة لضمان نجاحها[٣٠].

وقد مهّد عمارة اليمني لبدأ حركته، أقناع الأمير توران شاه[٣١] أخي صلاح الدين الأيوبي بالتوجه الى اليمن والاستيلاء عليها، ولا شكّ ان عمارة اليمني كان يسعى من وراء ذلك الى أضعاف قوة الجيوش الموالية لصلاح الدين الأيوبي بإبعاد جزء كبير منها الى خارج الديار المصرية ويتخلص أيضاً من توران شاه للحيلولة دون توليه السلطنة مكان أخيه في حالة قتله[٣٢].

في حين يذكر المقريزي (ت/٨٤٥هـ) سبباً أخر لمسير الامير توران شاه الى اليمن وذلك بسبب خوف صلاح الدين وأهله من الملك العادل نور الدين ان يدخل الى مصر وينتزعها منهم، فاحبوا ان يكون لهم مملكة يصيرون اليها، وكان اختيارهم قد وقع على بلاد النوبة، فسار اليها فلم تعجبه فعاد، وكان الشاعر عمارة اليمني قد انقطع الى الامير توران شاه

ومدحه واختص به وحدثه عن اليمن وكثرة الاموال بها وهون أمرها عنده وأغراه بان يتجه لليمن(٣٣).

ويصر المؤرخ ابن واصل(ت/٦٩٧هـ) بان لحركة عمارة اليمني ارتباط مع الإفرنج حيث يقول: "... ثم أتفق وصول الفرنج بالساحل الى صلاح الدين بهدية ورسالة وهو في الظاهر إليه، وفي الباطن الى أولئك الجماعة... "(٣٤)، لكن في الحقيقة على ما يبدو لنا من خلال المراسلات بين الطرفين (الأيوبي - الإفرنجي) ان علاقة صلاح الدين مع الفرنج آنذاك كانت علاقة طيبة، وهذا ما تؤكده رسالة التهنئة التي بعثها صلاح الدين الأيوبي الى ملك بيت المقدس الجديد بمناسبة توليه الحكم(٣٥).

وهنا يُمكننا الإشارة الى بعض الأسباب التي دفعت صلاح الدين الأيوبي الى التخلص من بعض الشخصيات ذات الأثر البالغ والدور المتميز في أيام الخلافة الفاطمية، ولعل من أهم تلك الأسباب إذا استبعدنا ما قيل بأن الثائرين كاتبوا الإفرنج على غزو مصر:

١- ما نقله النويري (ت/٧٣٣هـ) بقوله: بعد وفاة الخليفة الفاطمي العاضد واعتقال صلاح الدّين الأيوبي أولاده بالقصور، مرّ الشاعر عمارة اليمني على تلك القصور، وهى مغلّقة الأبواب، خاوية على عروشها، فأنشأ قصيدته المشهورة التي رثى بها القصور وأهلها، والتي مطلعها(٣٦):

رميت يا دهر كفّ المجد بالشّلل	وجيده بعد حسن الحلى بالعطل
سعيت في منهج الرّأى العثور فإن	قدرت من عثرات الدهر فاستقل
هدمت قاعدة المعروف عن عجل	سقيت مهلا أما تمشى على مهل
لهفى ولهف بنى الآمال قاطبة	على فجيعتنا في أكرم الدّول
قدمت مصر فأولتنى خلائفها	من المكارم ما أربى على الأمل

٢- ما نقله الذهبي (ت/٧٤٨هـ) وأكده أبن رجب الحنبلي (ت/٧٩٥هـ)، من رواية تدل على مقدار الحسد والطمع عند أبن نجا الذي كان سبباً في القضاء على هذه الحركة، حيث ذكرا ما نصه: "... ثم جاء إلى صلاح الدين فأخبره، وطلب منه ما لابن كامل من الحواصل والعقار، فبذله له، وأمره بمخالطتهم، وتعريف شأنهم،

فصار يعلمه بكل متجدد... "[٣٧].

٣- ما نقله ابن تغري بردي (ت/٨٧٤هـ) بان عمارة اليمني قد نسب إليه قول بيتاً من الشعر في قصيدة يمدح بها توران شاه ويحرضه على أخذ اليمن، كان أحد أسباب قتله، حيث أفتى قضاة مصر بذلك وهو قوله [٣٨]:

وكان أول هذا الدين من رجل سعى إلى أن دعوه سيد الأمم

ان المتمعن جيداً في هذا البيت - ان صحت نسبته - يجدهُ محفزاً وداعاً كبيراً للجد والاجتهاد في العمل والإخلاص بالطاعة لتحقيق الأهداف المشروعة وكذلك دافعاً للصبر وتحمل الأذى من أجل تحقيق الطموحات وكسب أسمى الغايات التي ينشدها الجميع على مختلف الأصعدة تطبيقاً لقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٣٩].

وفي الحقيقة ان هذه الحركة تم اكتشافها قبل اكتمال عناصرها وتهيئة مستلزمات إنجاحها وذلك لان الثائرين قد أشركوا في أمرهم هذا، احد الفقهاء الموالين للوزير صلاح الدين الفقيه أبن نجا[٤٠]، الذي قام بفضح سر حركتهم لصلاح الدين الأيوبي قبل موعد إعلانها بشكل رسمي[٤١]، فألقى صلاح الدين القبض على الثائرين وقتل قادتهم البارزين خاصة الشاعر عمارة اليمني وعبد الصمد الكاتب[٤٢]، والقاضي الأعز أبن سلامة[٤٣]، والقاضي هبة الله أبن كامل[٤٤]، وداعي الدعاة أبن عبد القوي[٤٥]، حيث أمر بصلبهم وذلك في اليوم الثاني من شهر رمضان سنة (٥٦٩هـ/١١٧٤م) وأعتقل من تبقى من الأسرة الفاطمية بعد ان فرّق بين الذكور والإناث [٤٦].

إما مصير المؤيدين لهذه الحركة من القادة والجند الذين كانوا مع صلاح الدين، فقد روي ان صلاح الدين لم يتعرض لهم، ولا أعلمهم بأنه علم بحالهم وما قاموا به من أفعال[٤٧].

ثالثاً: حركة كنز الدولة[٤٨] حامي أسوان[٤٩]..

لعل هذه الحركة هي أخر الحركات التي واجهت حكم صلاح الدين الأيوبي في مصر من قبل أنصار الخلافة الفاطمية، وقد عرفت بحركة كنز الدولة في أسوان، وكان الهدف

الحقيقي لهذه الحركة هو أعادة السلطة للخلافة الفاطمية، وقد استطاع كنز الدولة جمع اعداد كبيرة من السودان وغيرهم من العناصر الموالية للخلافة الفاطمية، الا أن صلاح الدين الأيوبي تمكّن من القضاء على هذه الحركة بعد ان جهّز حملة كبيرة وأرسلها للقضاء على الثائرين بقيادة أخيه العادل سيف الدين [٥٠] الذي استطاع قتل كنز الدولة بعد حروب شديدة [٥١].

في حين تورد لنا بعض المصادر التاريخية رواية أخرى مفادها: ان كنز الدولة وهو أمير العرب، قد خالف الوزير صلاح الدين بصعيد مصر، حيث اجتمع معه جماعة كبيرة من رعايا البلاد والعربان والسّودان وغيرهم، فقام بقتل أخا الأمير أبى الهيجاء السّمين[٥٢]، وكان قد توجّه لإقطاعه بالصّعيد، فعظم قتله على أخيه، وكان من أكابر الأمراء النّاصريّة، فسار إلى قتال كنز الدولة، وندب معه الملك الناصر جماعة من الأمراء والعسكر، فوصلوا إلى مدينة طود[٥٣]، وهى على مسافة يوم من مدينة قوص إلى جهة الصّعيد، فامتنع من بها عليهم، فقاتلوهم وظفروا بهم وقتلوا كثيراً منهم، وأخربوا البلد، فهي إلى وقتنا هذا تعرف بطود الخراب، ثمّ سار العسكر منها إلى الكنز فقاتلوه وقتل من معه من الأعراب، وأمنت البلاد واستقرّ أهلها[٥٤]، وبذلك تم لصلاح الدين الأيوبي القضاء على آخر المحاولات الرامية الى أعادة الحكم للخلفاء الفاطميين، وبنهاية هذه الحركة أُسدل الستار نهائياً على الدولة الفاطمية.

الخاتمة..

وفي الختام نستطيع القول ان انشغال الوزراء الفاطميين في صراعاتهم الداخلية أدت الى إهمالهم ما كان يُهدد دولتهم وسلطاتهم من أخطار خارجية، الأمر الذي مكّن الصليبيين من الاستيلاء على مدنهم في بلاد الشام الواحدة تلو الأخرى، ابتداء من بيت المقدس في سنة (٤٩٢هـ/١٠٩٧م) وحتى مدينة عسقلان في سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م)، وعندئذ أصبحت سلطات الخلافة الفاطمية مقتصرة على مصر، مما فسح المجال أمام الطامعين أمثال نور الدين زنكي والصليبيين للاستيلاء على أراضيها وانتزاع بعض ممتلكاتها، وقد أتاح استنجاد الوزير المخلوع شاور بنور الدين زنكي لإعادته الى منصبه الفرصة لنور الدين للتدخل وبسط نفوذه وهيمنته على مصر لاستغلال مواردها المادية والبشرية في صراعه مع الصليبيين، حيث تمكن

جيشه من دخول مصر بعد ثلاث حملات بقيادة أسد الدين شيركوه الذي تولى الوزارة للخلفاء الفاطميين، ثم خلفه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي في وزارة الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله في سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م)، وفي الوقت نفسه كان نائبا عن نور الدين زنكي في مصر.

وقد اتخذ صلاح الدين خطوات تدريجية لإسقاط الخلافة الفاطمية، فأسس جيشا مواليا له، وعمل على نشر المذهب السني والقضاء على بقايا الجيش الفاطمي من السودان والأرمن، وأخيراً قطع الخطبة عن الخلفاء الفاطميين ودعا للعباسيين في مصر في سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) دون حدوث ردة فعل غاضبة من عامة الناس ولعل ذلك يرجع الى الأزمات الاقتصادية والاضطرابات السياسية التي شهدتها الدولة الفاطمية في عقودها الأخيرة، وبهذا تكون الحروب الصليبية لها الدور البارز في سقوط الدولة الفاطمية فضلا عن الأوضاع الداخلية المتردية.

هوامش البحث ومصادره

(١) صلاح الدين الأيوبي: هو الملك الناصر، أبو المظفر يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب، الدويني الأصل، التكريتي المولد، ولد في سنة ٥٣٢ /١١٣٧م إذ كان أبوه نجم الدين متولي تكريت نيابة. ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، لبنان، د.ت، ج٧، ص١٣٩-٢١٩؛ المنصوري، بيبرس (ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية والمماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط١، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م، ص٣ - ٥؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ه/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ج٢١، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٢) الخليفة العاضد لدين الله (٥٥٥ - ٥٦٧هـ / ١١٦٠-١١٧١م): هو أبو محمد عبد اللّه بن يوسف، بن الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي وهو الرابع عشر من ملوك الدولة الفاطمية، والحادي عشر من ملوك الديار المصرية، بويع بالخلافة بعد وفاة الخليفة الفائز بنصر اللّه في يوم الجمعة السّابع عشر من شهر رجب سنة ٥٥٥ هـ، تزوّج العاضد لدين اللّه بابنة الملك الصّالح بن رزّيك. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ /١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، مطابع □وستاتسوماس و شركاه، القاهرة، د.ت، ج٢٨، ص٣٢٢-٣٢٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٢٠٧ - ٢١٢؛ الصفدي،

صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث بيروت، ٢٠٠٠م، ج١٧، ص٣٦٥؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الدمشقي(ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٤، ص٢٢٢.

٣() الطواشي: كلمة تعني الخَصِيُّ، وهُوَ لقب مُوَلَّدٌ لَمْ يُوجَدْ فِي كَلامِ الْعَرَب. الزبيدي، محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ج٩، ص١٣٦.

٤() ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ج١١، ص٣٤٥؛ أبن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ه/١٣٧٢م)، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: علي شيري، ط١، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ج١٢، ص٣٢٠.

٥() أسد الدين شيركوه بن شادي، تولى دمشق مدة وقام بحرب الفرنج وكان شجاعا مقداما و حج بالناس سنة ٥٥٥ هـ، ثم قصد ديار مصر على ثلاث دفعات وكان قد استخلف الملك الناصر بها وكانت أيام أسد الدين بمصر نحواً من ستين يوما، وتوفي بمصر في يوم السبت سنة ٥٦٤هـ. ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ج٢٣، ص٢٨٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٧٩ -٤٨١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٥٨٧ - ٥٨٩.

٦() النويري، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص٣٦٠؛ للمزيد ينظر: أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت/٦٦٥ه)، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: أحمد البيسومي، ط١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م، ج١، ص٢٩٤.

٧() غص: من الغصة أي شجا يغص به في الحرقدة - عقدة الحنجرة -، وقيل: غُصَص الموتِ والشِّدةِ، وقيل: الغُصَّةُ: ما اعْتَرَض في الحَلْقِ وأَشْرَقَ. الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ/٧٩١م)، كتاب العين , تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، قم المقدسة، ١٤٠٩هـ، ج٤، ص ٣٤١؛ أبن سيده، أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج١، ق٥، ص٣٢؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٩، ص٣١٦.

٨() عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ه/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧١م، ج٥، ص٢٨٣.

٩() أبن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، د.ت، ج٥، ص٣٥٤.

١٠() أبن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ه/١٢٩٧م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط١، القاهرة، د.ت، ج١، ص ١٦٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م ج٣٩، ص ١٩؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٥، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

١١() أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٥، ص ٣٥٤.

١٢() ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج١١، ص٣٤٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢، ص٣٢٠.

١٣() ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج١١، ص٣٤٥؛ أبو شامة، عيون الروضتين،ج١، ص٢٩٤؛ النويري، نهاية الأرب،ج٢٨، ص٣٦٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج٣٩، ص٢٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢، ص٣٢٠.

١٤() راجع كتابه: الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٥() بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت ٦٣٢ه/١٢٣٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م،ج١، ص٨٢.

١٦() الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ط٣، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٣٨.

١٧() راجع: أبو شامة، عيون الروضتين،ج١، ص٢٨٩-٢٩٠؛ المقريزي، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ه/١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١ م،ج٢، ص٣١٧.

١٨() ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج١١، ص٣٤٥؛ النويري، نهاية الأرب،ج٢٨، ص٣٦٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج٣٩، ص٢٠؛ السبكي، عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط١، دار أحياء الكتب العربية، بيروت، د.ت،ج٧، ص٣٥٤-٣٥٥.

١٩() ابن شبه، أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت ٢٦٢هـ/٨٧٥ م) ، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط٢، دار الفكر، قم المقدسة، ١٤١٠هـ،ج٤، ص١١٤٩؛ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧ م)، تاريخ اليعقوبي، ط١، دار صادر، بيروت، د.ت،ج٢، ص١٧٥؛ أبن أعثم الكوفي، أبي محمد أحمد (ت ٣١٤ه/٩٢٦ م)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط١، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م،ج٢، ص٤١١-٤١٢.

٢٠() تاريخ الإسلام، ج٣٩، ص١٩-٢٠.

٢١() بهاء الدين قراقوش: هو أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الاسدي الملقب بـ بهاء الدين، كان خادم صلاح الدين وقيل خادم أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين فأعتقه، و قراقوش وهو لفظ تركي معناه العقاب الطائر، ولما أستقل صلاح الدين بالديار المصرية جعله زمام القصر ثم نائب عنه مدة بالديار

المصرية وفوض أمورها إليه واعتمد في تدبير أحوالها عليه وكان رجلا صاحب همة عالية وهو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما وبنى قلعة الجبل وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرام ولما أخذ صلاح الدين مدينة عكا من الفرنج سلمها إليه ثم لما عادوا واستولوا عليها حصل أسيرا في أيديهم ويقال إنه افتك نفسه بعشرة آلاف دينار يوم الثلاثاء حادي عشر شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وكانت وفاته في مستهل رجب سنة ٥٩٧هـ بالقاهرة ودفن في تربته المعروفة به بسفح المقطم. ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٤، ص٩١-٩٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،ج٢٤، ص١٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٣، ص٣٧-٣٨؛ الزركلي، خير الدين، الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٥، دار الملايين، بيروت، ١٩٨٠م الأعلام،ج٥، ص١٩٣.

٢٢() ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج١١، ص٣٤٦؛ أبي الفدا، عماد الدين بن إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر, ط١, دار المعرفة , بيروت, د.ت،ج٣، ص٤٨؛ النويري، نهاية الأرب،ج٢٨، ص٣٦٠ -٣٦١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج٣٩، ص٣٤؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى،ج٧، ص٣٥٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٣، ص٣٢٠؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج٥، ص٢٨٣.

٢٣() مدينة قليوب: موقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، ولم يتحرّر لي طولها وعرضها، غير أنها من القاهرة في جهة الشّمال على نحو فرسخ ونصف من القاهرة. القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي بن احمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت،ج٣، ص٤٥٧.

٢٤() الخرقانية: وهي قرية تبعد عن مدينة المنية خمسة أميال، وهي قرية عامرة لها مزارع وضياع وبساتين كثيرة. الإدريسي، محمد بن العزيز (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م، ج١، ص٣٣٠.

٢٥() أبن الأثير، الكامل في التاريخ،ج١١، ص٣٤٥؛ أبو شامة، عيون الروضتين،ج١، ص٢٩٤؛ النويري، نهاية الأرب،ج٢٨، ص٣٦٠؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج٢، ص٣٢٨-٣٢٩.

٢٦() الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٤٦-٣٤٧؛ وللمزيد ينظر: أبو شامة، عيون الروضتين،ج١، ص٢٩٥؛ النويري، نهاية الأرب،ج٢٨، ص٣٦١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،ج٣٩، ص٢٠-٢١؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى،ج٧، ص٣٥٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢، ص٣٢٠-٣٢١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج٤، ص٨١؛ ج٥، ص٢٨٣؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج٢، ص٣٢٩ - ٣٣٠.

٢٧() عُمارة بن علي بن زيدان الحَكَمي المَذْحِجي، أبو محمد اليَمَني ولد عام ٥١٥ه، الفقيه الشافعي، الفرضي، الشاعر، الملقّب بنجم الدين. ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة. وتفقّه بزَبيد مدّةً، واشتغل بالأدب، ونفّذه أمير مكة لمّا حجّ سنة تسع وأربعين رسولًا إلى الفائز بمصر، فامتدحه بقصيدة فأحسن إليه

الفاطميّون، فأقام عندهم ومدحهم توفي عام ٥٦٩هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٣، ص٤٣١-٤٣٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٥٩٢-٥٩٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،ج٢٢، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٢٨) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، ط٢، مصر، ١٩٥٦م، ج١، ص٥٣

(٢٩) العريني، السيد الباز، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص٤٦.

(٣٠) جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧ م)، مفرج الكروب في دولة بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط١، مصر، ١٩٥٣م، ج١، ص٢٤٤.

٣١() توران شاه: الملك المعظم، شمس الدولة، توران شاه بن أيوب، أخو السلطان صلاح الدين، هو أسن من السلطان، فكان يحترمه ويرى له، جهزه في سنة ٥٦٨ه إلى بلاد النوبة، فرجع بغنائم كثيرة، ثم بعثه على اليمن، فظفر بعبد النبي المتغلب عليها، وقتله، واستولى على معظم اليمن، وكان شجاعا، ثم إنه مل من سكنى اليمن، ولم توافقه، فاستناب عليها، وقدم في آخر سنة ٥٧١ هـ، فعمل نيابة السلطنة بدمشق، ثم تحول إلى مصر في عام ٥٧٤ه، واتفق موته بالإسكندرية في صفر سنة ٥٧٦ه، فنقل في تابوت إلى دمشق، ودفن بالمدرسة الشامية عند شقيقته، ومعنى توران شاه: ملك الشرق. أبن خلكان، وفيات الأعيان،ج١، ص٣٠٦-٣٠٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج٢١، ص٥٣-٥٤؛ أبن شاكر الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر بن احمد الحلبي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله - عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م،ج١، ص٢٧١-٢٧٣.

(٣٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، ص٢٣٨ -٢٤٤، وللمزيد حول حملة توران شاه الى اليمن يُنظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٨٧-٨٨؛ البنداري، الفتح بن علي بن محمد (ت/٦٤٣هـ)، مختصر سنا البرق الشامي، ص ٢٤-٢٥.

٣٣() السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص١٦١.

(٣٤) مفرج الكروب،ج١، ص ٢٤٥؛ وقد ورد هذا النص لدى: النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٦٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٩، ص ٥٤ - ٥٦.

٣٥() القلقشندي، صبح الأعشى،ج٧، ص١٢٢-١٢٣؛ حمادة، محمد ماهر، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي ٤٨٩-٦٠٦ه دراسة ونصوص، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م، ص١١٨-١١٩.

٣٦() نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٣٤٧ - ٣٤٨؛ وللمزيد ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣٤١ - ٣٤٢.

٣٧() تاريخ الإسلام، ج٣٩، ص٥٥؛ عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الدمشقي (ت ٧٩٥ هـ/١٣٩٢م)، الذيل على طبقات الحنابلة، ط١، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٣، ص٤٣٨؛ وقريب من هذا المعنى ما

ذكره ابن كثير (ت/٧٧٤هـ): "... فأطلق له السلطان أموال جزيلة، وأفاض عليه حللا جميلة... ". البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٤٠.

٣٨() النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص٧١.

٣٩() سورة الأحزاب، آية ٢١.

(٤٠) الفقيه أبن نجا (أبن نجية): هو زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الدمشقي الحنبلي، ولد بدمشق سنة ٥٠٨هـ، وهو سبط الشيخ أبي الفرج عبد الواحد ابن محمد الشيرازي الحنبلي، سمع من عبد الخالق بن يوسف وطبقته ببغداد، وحدث بمصر عن أبي الحسن علي بن أحمد بن قبيس، وكان صهراً لسعد الخير بن محمد الأنصاري البغدادي على ابنته فاطمة، وكان واعظاً فصيحاً ذا قبول عند الملوك وغيرهم، ذا ثروة ومال، من جملته كان له عشرون جارية للفراش، تساوي كل جارية ألف دينار، كان من المقربين من صلاح الدين الأيوبي، توفي في مصر سنة (٥٩٩هـ وقيل ٦٠٠ هـ) عن إحدى وتسعين سنة. الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج٢١، ص٣٩٣-٣٩٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،ج٢٠، ص٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٣، ص٤٣-٤٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص١٨٣.

(٤١) ابن واصل، مفرّج الكروب،ج١، ص ٢٤٥؛ الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ج٣، ص٤٣٨.

٤٢() عبد الصمد الكاتب: لم أعثر على ترجمة له، سوى ما ذكره أبن كثير: وهو أحد الأمراء المصريين. البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٤١.

(٤٣) القاضي الأعز أبن سلامة: وهو أبو محمد الحسن بن علي بن سلامة المصري، المعروف بابن الحوريس، تولى القضاء في شهر ربيع الأول من عام ٥٥٩ه، ثم أضيف اليه الدعوة، وكان معظماً عند الخليفة العاضد لدين الله الفاطمي بحيث كان ينزل اليه عن سريره، وقد صلب ودفن في قبر واحد مع القاضي أبن الجليس. أبن حجر، شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م)، رفع الآصر عن قضاة مصر، ط١، د. م، د. ت.، ص١٢٨ - ١٢٩؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار أحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦٧م، ج٢، ص١٥٣.

(٤٤) القاضي هبة الله أبن كامل: أبو القاسم المصري، قاضي القضاة وداعي الدعاة، كان عالماً، فاضلاً، أديباً، شاعراً، متفنناً، من كبار علماء الدولة المصرية، وكان عندهم في الرتبة العليا، وكان خلفاء مصر يلقبونه فخر الأمناء، وهو أحد الجماعة الذين سعوا في إعادة دولة، فظفر بهم صلاح الدين، فصلب في رمضان وهو صائم. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٩، ص٣٨٧ -٣٨٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٧، ص١٨٥؛ ابن حجر، رفع الآصر، ص٤٥٩؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص١٥٣.

٤٥() داعي الدعاة أبن عبد القوي: هو أبو الفتح عبد الجبار بن إسماعيل بن جعفر بن عبد القوي بن الجليس، يلقب بـ الموفق في الدين، كان خبيراً بتحصيل الأموال وعارفاً بكل خبايا القصر الفاطمي

وذخائره، ولي القضاء في شهر ذي الحجة عام ٥٦٥ه لمدة قصيرة. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣٢٤؛ أبن حجر، رفع الآصر، ص٢٠٦ - ٢٠٧

(٤٦) ابن واصل، مفرّج الكروب، ج١، ص٢٤٥-٢٤٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٦٧-٣٦٨؛ أبن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٤٠ - ٣٤١؛ غنيم، أسمت، الدولة الأيوبية والصليبيون، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص٢٤.

٤٧() النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٦٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٩، ص٥٦.

٤٨() الكنز: بطن من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان يعرف بأولاد الكنز، كانوا ينزلون اليمامة، وقدموا مصر في خلافة المتوكل العباسي سنة ٢٤٠ تقريباً، في عدد كثير وانتشروا في النواحي ونزلت طائفة منهم بأعالي الصعيد، وسكنوا بيوت الشعر في براريها الجنوبية وأوديتها، وكانت قبائل البجة تشن الغارات على القرى الشرقية في كل وقت حتى خربوها، فقامت ربيعة في منعهم من ذلك، حتى كفوهم، ثم تزوجوا منهم، فكثرت أموالهم، واتسعت أحوالهم، وصارت لهم مرافق ببلاد البجة، واختطوا قرية تعرف بالنمامش وحفروا بها آباراً، وكلهم يعرفون بكنز الدولة، حتى كان آخرهم كنز الدولة، الذي قتله الملك العادل أبو بكر بن أيوب في سابع صفر سنة ٥٧٠ هـ. المقريزي، رسائل المقريزي (البيان والإعراب عمن في ارض مصر من قبائل الأعراب)، تحقيق: رمضان البدري. أحمد مصطفى قاسم، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٤٢-١٤٣؛ كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م، ج٣، ص١٠٠٠ - ١٠٠١.

٤٩() أسوان: وهي مدينة كبيرة و كورة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل في شرقيه، هي في الإقليم الثاني، طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وفي جبالها مقطع العمد التي بالإسكندرية، وبأسوان الجنادل، وفيها من التمور المختلفة وأنواع الارطاب، وذكر بعض العلماء أنه كشف أرطاب أسوان فما وجد شيئا بالعراق إلا وبأسوان مثله، وبأسوان ما ليس بالعراق. ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ج١، ص ١٩١ - ١٩٢.

(٥٠) الملك العادل سيف الدين: السلطان الكبير أبو الملوك وأخو الملوك أبو بكر محمد ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني الأصل التكريتي ثم البعلبكي المولد، ولد بها إذ والده ينوب بها للأتابك زنكي بن آقسنقر في سنة ٥٣٤هـ وقيل سنة ٥٣٨هـ، وكان أصغر من أخيه صلاح الدين بعامين، نشأ في خدمة الملك نور الدين، ثم شهد المغازي مع أخيه، وكان ذا عقل ودهاء وشجاعة وخبرة بالأمور، وكان أخوه يعتمد عليه ويحترمه، استنابه بمصر مدة ثم ملكه حلب، ثم عوضه عنها بالكرك وحران، وأعطى حلب لولده الظاهر. أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٧٤-٧٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص١١٥ - ١١٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٦٨ - ١٦٩.

(٥١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٨٩-٩٠؛ البنداري، سنا البرق الشامي، ص٨٠؛ أبو شامة، عيون الروضتين، ج٢، ص٥.

٥٢() الأمير الكبير أبو الهيجاء السمين الكردي، كان من أكابر أمراء صلاح الدين، وهو الذي كان نائبا على عكا، وخرج منها قبل أخذ الإفرنج، ثم دخلها بعد المشطوب، فأخذت منه، واستنابه صلاح الدين على القدس، ثم لما أخذها العزيز عزل عنها فطلب إلى بغداد فأكرم إكراما زائدا، وأرسله الخليفة مقدما على العساكر إلى همدان، فمات هناك عام ٥٩٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص١٥٤-١٥٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٠؛ أبن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٥٣١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص١٤٥.

٥٣() طود: هي بليدة بالصعيد الأعلى فوق قوص ودون أسوان، لها مناظر وبساتين، أنشأها الأمير درباس الكردي المعروف بالأحول في أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٧.

٥٤() أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤١٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٦٩؛ أبن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٢٨٩.